



## سورية التي لا تعرفها .

ليس عجباً أو غير منتظر أن يشعر من أمضى عدداً من السنوات في سورية بغصة وهو يودعها بعد أن أنهى إقامته فيها بدافع العمل . وليس عجباً أن يحدث من يلقاه لدى عودته إلى بلده عن سورية قائلاً إنه اكتشف سورية التي قد لا يعرفها حتى أبنائها . وفي هذا السياق ، لا يخفي مشاعره بأنه قد خبر بلداً يستحق حقاً أن يزار لأن فيه من مكونات الحضارة ما لا يوجد في بلد آخر على نحو ما هي موجودة في سورية .

وبطبيعة الحال لا بد ، وهو يتحدث عن سورية بمثل هذه " الجرأة " ربما في بلد لا يرى في سورية سوى ما يرغب بمشاهدته لا بما يعكسه الواقع ، أن يتقبل نظرات الاستغراب ، وقد يتعدى حال الاستغراب إلى ما هو أكثر تعبيراً ، فيتهم بالوقوف إلى جانب " الإرهابيين " في المنطقة عموماً ودعم حركات المقاومة وسوى ذلك . ويصدد وقفتي مع تفاصيل كتاب أرسله أحد مدراء شركات النفط الأوروبية العاملة في سورية لأحد أصدقائه ، بعد مغادرته سورية ، يتبين قارئ أسطر الكتاب أن سورية بقيت عالقة في ذاكرة هذا المدير ، على الرغم من محاولات جارية على مدار الساعة في أكثر من عاصمة أوروبية فضلاً عن الولايات المتحدة الأمريكية لتشويه واقع بلدنا الجميل والأخاذ .

بيد أن هذه الوقفة تبين للقارئ ، في الوقت نفسه ، كم هو حجم المسؤولية التي تترتب علينا حين نقرأ عنواناً كما ورد في بداية أسطوري هذه يوحي بأننا ، نحن أصحاب الأرض ، لم نعرف بعد جيداً ما تحتويه بلادنا من كنوز تستحق أن نعرف عبر وسائل إعلامنا حتى لأبنائنا وأحفادنا ، كي لا تبقى خافية عن اهتماماتهم حاضراً ومستقبلاً ، وحتى لا ينوه أحد من الأجانب بغناها ، مدركين قيمتها على مستوى الحضارة عالمياً أو إقليمياً فقط .

إن رسالة المدير التي نقلتها إلينا إدارة مجلتنا العتيدة هذه عبر البريد الإلكتروني منذ فترة ، ليست الرسالة الوحيدة التي أشارت وتشير إلى أهمية أن نعرف بلادنا أكثر فأكثر . فقبل ذلك بسنوات كنت أعمل في فرع شركة سبينس البريطانية في دمشق ، وكان للمدير البريطاني المستر كلارك ، موقف مماثل عندما انتهى نذبه للعمل في دمشق . ويوم ودعته وهو يغادر سورية في مطار دمشق لم يتمالك نفسه ونحن نعانق بعضنا بعضاً ، قدمعت عيناه وكاد يبكي بصوت مسموع وهو يردد : ليت أيامي لم تنته في سورية . إنها البلد الذي يحتضن زائريه والمقيمين فيه معاً بمشاعر مودة خبرتها عن كثب وستبقى تتردد أصدائها في الذاكرة مهما طال زمن الفراق . وكان صادقاً ، ودليل صدقه أنه لم يفوت فرصة إلا وهتف لي قائلاً ما معناه : سقى الله .

هذه هي سورية الدفء والمحبة والتاريخ والأثر الذي لا يمحي من ذاكرة زائرها أو من أقام فيها لفترة ما ومن ثم غادرها استجابة لدواعي انتهاء زمن الزيارة أو انتهاء فترة عمله . إنها سورية التي نتمنى أن تسعى مؤسساتنا التربوية والثقافية والسياحية إلى تعريف أبناء الجيل الحالي من فئة الشباب خصوصاً ، على أطرافها لأنها تستحق أن يبذل الجهد أي جهد من أجل الحفاظ عليها كيأنا حضارياً منذ آلاف السنين لا يجارى .

وحين يعود أحدنا إلى عنوان هذه الأسطر المستمد من رسالة مدير إحدى الشركات النفطية العاملة في بلادنا إلى صديق له ، سيجد فيها رأياً موضوعياً لا بأس من قراءته أيضاً بشكل موضوعي .

د . اسكندر لوقا